سلسلة أمراء النصر والتحرير

الوصال الأزلي

قصة الإستشهادي
علي صفي الدين





قصة الاستشهادي علي صفي الدين



الوصال الأزلي

الوصال الأزلي



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

لبنان - بيروت - المعمورة

تلفاكس: 01/471070

ص.ب.: 25/327-24/53

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

❖ **عنوان المسابقة:** أفضل قصة إستشهادي.

❖ **عنوان القصة:** الوصال الأزلي.

❖ **الكاتب:** باسمة عبد الله مرعي.

❖ **الرعاية:** بلدية النبطية.

❖ **المنظم والناشر:** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

❖ **الطبعة:** الأولى - شباط ٢٠٠٨م.




بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى البواسل

الذين استقبلوا الشهادة برحابة

صدر تقديراً وتقديساً لها.

إلى الذين سطروا الملاحم البطولية

في تاريخ الإنسانية.

إلى الاستشهادي علي صفي الدين

أقدم هذا العمل..

الوصال الأزلي

ـ المقدمة ـ

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

فالشُّهداءُ الذين يقتلون في سبيل الله وحده، هدفهم لقاؤه ونيل رضاه، هم أحياء لم ينقطعوا عن الحياة ولا عن أحداثها فهم متأثرون بالأمة ومؤثرون فيها، والتأثير والتأثر من أهم خصائص الحياة.

وقلائل هم الرجال الذين يؤثرون في الزمن الذي يعيشون فيه خصوصاً إذا كانوا يعتمدون في تأثيرهم على ما تعطيه أيديهم وترسمه وتخطه دمائهم.

والشهداء وخاصة الإستشهاديين منهم أولئك الثلة المؤمنة والنخبة الطاهرة الفريدة من نوعها، يعيشون حياة الجهاد عملياً او على مستوى الأمل، وبهذا المعيار يعرف صدق الإنسان وإخلاصه. والكلام عنهم مترامي الأطراف لأنه كلام عن العشق والوصال

والإيثار والتضحية والفداء، وكل ما تكتبه اقلامنا يقف خجلاً أمام عظمتهم.

وهذه الرواية تمثل إطلالة تلقي الضوء على السيرة الذاتية للإستشهادي علي صفي الدين، الذي استطاع وفي طليعة هؤلاء الرجال الذين حملوا قضية الأرض والأمة بأن يؤكد قولاً وفعلاً أن الرجل هو الذي يكتب للأمة عنوانها وعنفوانها وهو الذي يجعل الإرهاب يهابها.

فكانت شهادته طريقه المنشود لتحقيق غايته وهي لقاؤه بمعشوقه والوصول إلى لذة الوصال الأزلي.

فطوبى لأولئك الشامخين الذين ستبقى دمائهم منارة يهتدي بها السالكون وجعلنا الله ممن ينالون شرف الشهادة بين يدي الإمام الحجة المنتظر ﷻ.

ـ الولادة ـ

وكان لشروق الشمس لون آخر.... شعاع فريد أضفى نوراً ودفئاً على بلدة الحلوسية، تلك البلدة الجنوبية الوديعة تجاوز يومها كل الغيوم المتجمعة بخجل في سماء شهر أيلول، وبالتحديد في الثلاثين منه عام ١٩٦٦م، مترافقاً مع أنغام موسيقية عزفتها عصافير «أبو الحن» والبلابل والدوري ونفحات من عبير أخّاذ انبعث من شجرة الكولونيا المغروسة بكل عناية قرب منزل السيد حسين صفي الدين وزوجته ليلى عيتاني.

ترى ما الخطب؟

زفت نساء القرية البشرى فقد وُلدَ في هذا المنزل المتواضع، وعند انبلاج الفجر الصادق من ذلك النهار المميز الطفل الأول لهذه العائلة.

أقبل الجيران وكعادة الناس الطيبين في قرى الجنوب اللبناني لتقديم التهنئة والتبريكات للأهل، ولعرض المساعدة على الأم.

وعندما رأينه، هلّلن لحسنه، وجماله وللوداعة في ملامح وجهه،

الوصال الأزلي

دار حديث بينهن وبين القابلة التي كان لها شرف تلقي الطفل بين يديها وهو من السلالة الهاشمية المباركة، فقالت لهن: سبحان الله إن ولادة هذا الطفل كانت ميسرة بشكل غريب ولقد انتابني شعور بسعادة عارمة لحظة إطلالته على الحياة.

سألتها الجارة أم محمد وهي الأكثر قرباً الى السيدة ليلى،

ـ هل أذن له الوالد؟

ـ بالطبع فعندما قدمته له هنأته وقلت له: مبارك وليدك يا سيد، فحمله بين ذراعيه بكل حنان وشوق، وطفرت دموع الفرح من عينيه، ولعل أبا علي رأى فيها نموذجاً لأملٍ متجدد بحياة جميلة، وبرفق وحرص شديدين أدناه من وجهه وقبله، ثم استقبل به القبلة، رفع الآذان في أذنه اليمنى، ومن ثم تلا الإقامة في اليسرى بصوت شجي متأثراً بكل كلمة يقولها ـ ثم ناولني إياه قائلاً لي:

ـ الآذان من السُّنة المستحبة في ديننا الإسلامي.

والله أكبر على لسان الوالد المعتقد بهذا الدين المحمدي الأصيل كانت بمثابة الشرارة الأولى التي طبعت في قلب هذا الملاك الطاهر.

لم يتسنّ للجيران أن يسألوا عن اسمه... فلم يتردد أبوه ولا للحظة واحدة:

ـ إنه علي، هذا هو اسمه وان شاء الله يتبع نهج إمامه علي عليه السلام.

تغذى علي من لبن أمه حب الله عز وجل، ونبت لحمه ونما عظمه على الوفاء والإخلاص لتراب الموطن المقدس، إخلاص لا يشوبه منّة

ولا رياء... وترعرع تحت جناح والدين هما من الذين قال الله سبحانه وتعالى عنهم في الكتاب المجيد:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

الطفولة:

إزداد عدد أفراد أسرة «أبي علي» فرزق بصبيين آخرين وفتاة كان يعمل بكد ليؤمن قوت عياله وليوفر الحياة الأفضل لهم.

وعلي يعيش مع إخوته طفولة رائعة في كنف تلك العائلة الى أن شهد مع أهله وطأة الإجتياح الصهيوني عام ١٩٨٢م وهاله ما سمع عن الدمار والخراب والقتل والإرهاب الذي تصنعه أيدي الاسرائيليين.

وأصابه الحزن الشديد وهو ما زال طفلاً صغيراً لرؤية المجازر التي ارتكبوها بحق الأبرياء والمدنيين العزل فرسم كل ذلك في ذهنه صورة في غاية البشاعة لوحش لا يعرف الرحمة، وكل همه نهب الثروات وانتهاك الحرمات والأعراض.

وعلي الذي كان يعشق اللعب في ربوع القرية وبين بيوتها العتيقة، والمولع بخضرة المروج، والأزهار الملونة وكأنها بساط مزخرف ويتسلق الاشجار الباسقة... كيف كان يلعب؟

وهو المتميز عن أترابه ومنذ نعومة أظافره، حتى في طريقة أدائه للعب، وفي كيفية تحديد نوعه.

فقد كان يدأب على صنع أسلحة وهمية من خشب ويبني سواتر من الحجارة لم يكن يتعدى ارتفاعها طوله آنذاك ومن ثم يحسب

بان هناك عدواً متربصاً به خلف التلال المجاورة يجب عليه أن يحاربه ويقضي عليه حتى لا يغدره في الليل المظلم وينقض على أهله وأفراد أسرته فيلحق بهم الأذى وعلي متعلق بكل واحد منهم ويحبهم حباً جماً.

وكم كانت عيناه العسليتان ترمقان بحذر الهضاب البعيدة مترقبة لذلك الوحش الضاري كما كان يراه في مخيلته الصغيرة علّه يظهر كي يحقق حلمه بقتله وبالتالي حماية البلدة منه ولمّا اشتد عوده وأصبح في سن ملائمة لإرتياد المدرسة سارعت أمه بلهفة يحدوها الشوق لان ترى ولدها حاملاً حقيبته المدرسية على ظهره، ماشياً مع زملائه من أبناء القرية. فسجلت اسمه على قائمة الطلاب الجدد في مدرسة الحلوسية الرسمية المتواضعة.

وكم رقصت عيناها فرحاً عندما ألبسته الزي المدرسي ذاك المريول الأزرق الذي كان يليق به جداً، وكم من مرة تلفظت شفتاها قائلة له: يا للرجل الكبير!.

لم تدر حينها يا أم علي أن ابنك هذا الواقف أمامك سوف يصبح في المستقبل رجلاً كبيراً بكل ما في الكلمة من معنى، كبيراً جداً.

الإنتقال الى بيروت:

في تلك الحقبة من الزمن بدأت الأوضاع الاقتصادية تضيق على أهل الجنوب، شحت فيها موارد العيش وكان وقعها شديداً على أبي علي الذي أصابه فقر مدقع وضيق مالٍ شديد مما اضطره لاتخاذ

القرار بالإنتقال مع عائلته الى بيروت علّه يجد فرصة افضل في العمل هناك.

وكان وقع ذلك في غاية الحزن على علي الذي كان يهوى التراب والأرض.

إنتقلت العائلة الى بيروت كما حال الكثيرين من أهل البلدة وسكنوا في منطقة برج البراجنة ، وبالتحديد في طلعة النشواتي، التي غصت بالنازحين من قرى مختلفة.

كان البيت الذي استأجره أبو علي صغيراً كحال بيوت البرج المتواضعة إلا أن الصفاء كان يعم الحجرات الصغيرة التي احتواها ذلك المنزل الواقع في أحد الأزقة الضيقة.

وسرعان ما بدأ الوالد بالعمل، التحق علي حينها مع إخوته بمدرسة الأمين وتابع تحصيله العلمي فيها حتى سن العاشرة وأظهر كفاءة علمية وحصل على تقدير جميع أساتذته، ومحبة زملائه على مقاعد الدراسة.

مرض الوالد ووفاته:

لأن البلاء اختصه الله بعباده المؤمنين، استيقظ علي صبيحة أحد الأيام على حركة غريبة في المنزل، هرع الى أمه يسألها كان يبدو عليها الإرتباك والقلق بينما كانت ترتدي ملابسها بسرعة مستغرباً الوقت الذي ستخرج فيه.

- ما الأمر يا أمي؟

لم تتماسك نفسها فحضنته وبكت وقالت له:

الوصال الأزلي

- والدك مريض جداً ويحتاج للذهاب الى الطبيب في الحال.

أصاب الذعر علياً الذي كان يكن لوالده كل الحب ولمّا رأت أمه تلك الحالة التي بدت عليه، أمسكته بقوة وقالت له:

- أنت الاكبر بين إخوتك لا أريد أن أراك خائفاً، يجب أن تنتبه لهم في غيابنا.

ذهبت الوالدة مصطحبة أبا علي الى الطبيب، وعندما استيقظ إخوة علي الصغار سألوا عنهما، أخبرهم بمرض أبيهم، بكت أخته الصغرى زينب، كفكف دموعها وهدأ من روعها وقال لها:

لا تحزني سوف يعود أهلنا باكراً إن شاء الله.

وبمسؤولية واهتمام حضّر لهم طعام الإفطار، جلس معهم على المائدة يطعمهم واحداً واحداً لكن دون أن يأكل!

مضى الوقت ببطء شديد ولا خبر عن أهله أبداً، شعر بالقلق وكثرت التساؤولات في رأسه فما الذي قد يكون حل بوالده؟ ولما هذا التأخير كله؟

فكان تارة يجلس قرب إخوته وتارة يقفز الى النافذة ويطل منها علّه يراهما أقبلا فيهدأ باله ويرتاح.

وبينما هو على هذه الحال طرق بالباب فتوجه نحوه مسرعاً وفتحه فإذا أمه وأبوه خلف الباب.

الوالد يبدو عليه التعب والإرهاق الشديدين وآثار المرض تبدو جليّة على محياه والأم عيناها دامعتان.

إجتمع الأولاد الأربعة حولهما، أمسك علي يد والده وقبلها مساعداً إياه على الجلوس.

- سلامتك يا أبي.. لقد قلقت عليك كثيراً، ماذا قال لك الطبيب؟

- إنه مرض بسيط ولقد أعطاني الدواء وعندما اتناوله سوف تتحسن صحتي فلا تخف يا بني.

- الا أنه لم يطمئن، فقد رأى في عيني أمه حزناً عميقاً فسألها على حدة، لم أنت حزينة، وما كان تشخيص الطبيب لمرض والدي؟

- إن والدك مريض جداً وحالته لا توحي بالإطمئنان وهو لا يعلم بذلك.

جزع علي لذلك وأخذ يدعو ربه ليلاً ونهاراً كي يشفى والده ومرت الأيام وأبو علي تتدهور صحته على اثر مرضه -(العضال)- فعقدت زوجته العزم بعد مشاورات أجرتها معه على العودة جميعاً إلى الحلوسية، وكان ذلك إتباعاً لنصحية الأطباء إذ ان هواء القرية النقي قد يساعد على شفاء أبي علي ومن جديد شاءت الأقدار ان يعودوا الى ربوع الحلوسية. وأم علي مصرّة على أن يتابع أولادها المدرسة رغم كل الظروف الإقتصادية المحيطة. وكان لها ذلك فعادوا للدراسة في مدرسة البلدة أبو علي غير قادر على العمل ما أضطرها هي للبحث عن العمل كي تؤمن الدواء لزوجها والمتطلبات اليومية لعائلتها.

فبدأت تعمل صباحاً وتعود بعد الظهر الى المنزل للإهتمام بأسرتها وحالة الوالد تسوء أكثر فأكثر الى أن شاء الله أن توفاه..

وإن تيتم تلك العائلة من الأب الذي كان المعيل لها فكان لوفاته الأثر الكبير عليهم، مما خلّف في صدر علي حزناً وألماً شديدين،

فشعر بيتمه مفتقداً والده، بكى عليه كثيراً حتى احس ان قلبه سيتوقف من شدة التاثير كان يحضن امه ويقول لها: إني لا أتحمل فقدان أبي، وأشعر بأنه سيغمى عليّ.

كان المطلوب من أمه حينها أشياء كثيرة، فعليها أولاً أن تملأ الفراغ الذي تركه زوجها في نفوس أطفالها، وثانياً المضي في العمل لإعالتهم وهي الثكلى المفجوعة برفيق عمرها، وبات علي في خضم ذلك كله يحلم بأن يصبح شاباً لكي يعمل ويريح أمه من كل العناء الذي تعانيه.

الإنتقال من عمر الطفولة الى مرحلة الشباب:

الساحة الجنوبية تشهد العديد من المواجهات بين الصهاينة الغزاة والأهالي الصامدين.

علي يعيش مع عائلته في القرية في ظل تلك الأحداث وكلّما زادت اختزن صدره حقداً وغضباً على الأعداء عليهم.

أحب الصيد وتعلقت روحه بالتنقل بين التلال وفي الأودية فاقتنى بندقية صغيرة (الخردق) وأخذ يرافق من هم أكبر منه سناً سعياً وراء صيد وفير.

فكان يعبر عن سعادة عارمة وفرحة عظيمة كلما ذهب للصيد إذ انه كان يرى بأنه قادر على إصابة الهدف بدقة.

وكأنه يدرب نفسه بشكل غير مباشر على تحقيق الإصابات في أعماق طريدته.

وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره تقريباً بدأ في البحث عن عمل بعدما أنهى المرحلة المتوسطة من الدراسة.

فعمل في مهن عديدة ومختلفة متنقلاً بين بيروت والحلوسية الى أن استقر في مهنة البلاط، عمل فيها بجد، اتقنها واختلط عرقه بتعب يديه مجدداً ومُبتكراً في تلك المهنة حتى أضحى معلماً ماهراً فيها.

وعلي الذي انتقل الى مرحلة الشباب شعر بفراغ روحي لديه فما لبث ان بدأ يسأل عمن يملأ ذلك المكان الشاغر في جوفه.

وكان مع بعض أصحابه ورفاق دربه يتابعون أخبار انتصار الثورة الإسلامية المظفرة ويستمعون إلى خطابات قائدها الإمام الخميني قدس سره.

وكم ألهمه عطشه للمعرفة وشدّ به السؤال و التفكير الى الإبحار في فكر وحياة هذا القائد العظيم، محقق حلم الأنبياء، كما كان يحلو له وصفه.

وخلال وجوده في بيروت لم ينسَ أمه وإخوته فكان يتردد إلى الحلوسية بإستمرار لزيارتهم والإطمئنان عليهم.

مع سماحة الشيخ راغب حرب قدس سره:

سمع علي أن إمام بلدة جبشيت يعطي دروساً في المسجد فلم يتوان عن الذهاب لحضوره، وكان حينها الشهيد الشيخ راغب حرب قدس سره فكان ينسجم بشدة في محاضراته ويذوب عشقاً في كلماته خاصة عندما يتحدث عن الشهادة وكيف أن الشهيد حيٌّ يرزق ومدى تأثيره في نهوض الأمة من ركودها.

وركز كثيراً في خطبه التي تحدث فيها عن إسرائيل وجرائمها وقيمة الأجر والثواب عند الله للذي يدافع عن أرضه ووطنه ويقتص من قتلة الأبرياء.

الوصال الأزلي

وكلام الشيخ الذي كان يخرج من قلبه الشريف كان يركن ويستقر في قلب علي الذي أراد أن يترجمه فعلاً واقعاً على الصهاينة المجرمين.

تلك الخطب الفصيحة أوجدت حماسة نوعية ووضعت التزامات لا يستهان بها.

- وكان علي يردد عن لسان سماحته أمام أهله وأصدقائه وفي أكثر من مناسبة أن من يقتل إسرائيلياً يدخل الجنة لأنهم قتلة الأنبياء والأبرياء...

- والجنة هي اسمى هدف يصبو إليه بشر...

شدته هذه الدروس إلى أن سمع محاضرة في إحدى الليالي تلا فيها الشيخ راغب حرب قدس سره على مسامعهم الآية المباركة:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

شارحاً كيفية حياة الشهيد بأنها ليست موتاً وفناءً، بل أن الشهادة هي الحياة الحقيقية وهي غاية قدسية.

بدأت حينها تجيش في نفسه فكرة تسيطر على كيانه وعلى جميع أفكاره وتطلعاته، وهي الشهادة في سبيل الله...

فقد وصل الى مرحلة رأى فيها أن الشهادة مزيج من العاطفة الجياشة والحكمة العميقة والشوق الكامن في الأعماق للقاء الله والتقرب إليه ونيل رضاه.

وفي الوقت نفسه كان يتابع ويراقب باستمرار كل الاعتداءات التي يقوم بها جيش الإحتلال الصهيوني في بلدات وقرى الجنوب.

بداية العمل الجهادي:

وصلت إليه أنباء عن مجموعات تنفذ هجمات ضد العدو الإسرائيلي فسرعان ما التحق مع عدد من إخوانه في صفوفها والعمل معها للدفاع عن أرض الوطن الحبيب.

وهكذا رسم طريقاً واضحاً لنفسه، محدداً هدف مسيره فكان يعمل، ويهتم بإخوته، وخاصة أخته زينب فقد كان لها مكانة خاصة وعزيزة في قلبه وكم كان يحدثها عن أهمية الحجاب والصلاة وأداء الواجبات الدينية.

فكانت تنتظر عودته من دروس الشيخ راغب قدس سره بفارغ الصبر لينقل لها غيض من فيض هذا العالم الرباني.

ولطالما سألته:

- ماذا يقول لكم الشيخ ليزرع فيكم هذه الحماسة الشديدة فكان يضحك ويقول:

- يعرفنا حقيقة عدونا، ويطلق روحنا من قفص الدنيا، ويعمق فينا اليقين ليخرج شعاع النور الكامن فينا.

وأخذ علي يتدرب على استعمال الأسلحة المختلفة، وعلى صناعة المتفجرات وبالخصوص على إتقان زراعة العبوات والألغام فلمع نجمه في وقت قصير وما لبث أن أصبح من الأوائل في تنفيذ العمليات العسكرية ضد مواقع الإحتلال الصهيوني وكان ذلك في غاية السرية.

إجتياح عام ١٩٨٢م:

في سنة ١٩٨٢م اجتاحت القوات الإسرائيلية أرض الوطن العزيز واستباحتها ما دفع الشباب الى تكثيف جهادهم وتحركاتهم العسكرية.

فكانوا يعملون ضمن مجموعات ومن مختلف التنظيمات وبأسلحة محدودة.

المجموعة التي كان علي ضمن أفرادها عقدت إجتماعاً في ١١ تشرين الثاني في العام نفسه لمناقشة الوضع المستجد على الساحة الأمنية ولبحث كيفية تنفيذ العمليات.

دخل قائد المجموعة الغرفة التي عقدت فيها الجلسة، الفرح ظاهر بوضوح في قسمات وجهه.

- هل سمعتم البشرى؟.

- هلمّ أخبرنا ما هي.

إن مقر الحاكم العسكري الصهيوني في صور قد فجّر،

- تعالت الصلوات والتكبيرات.

- من هم الأبطال الذين فجروه؟.

- بل هو البطل الإستشهادي الكبير.

- هل هذا يعني أنه فجر نفسه فيهم.

- هذا صحيح إنها قمة الفداء.

- قرأوا الفاتحة عن روحه الطاهرة وأكملوا مباحثاتهم، إستبشر علي عند سماعه هذا الخبر ولمعت في رأسه أفكار إذ أن الشهيد

أحمد قصير وهو فرد واحد قد حقق إصابات بالغة والحق بالعدو هزيمة نكراء، فماذا يمكن لهم أن يحققوا؟

تلهف المجاهدون المقاومون في تلك الآونة الى تأدية التكليف الشرعي بالجهاد من خلال التزامهم التام بولاية الفقيه وبتعليمات القيادة الحكيمة الواعية.

فقاموا بالتكتيك في نوع العمليات التي ينفذونها، فلم يتركوا دورية إسرائيلية تنتقل في شوارع وأزقة القرى إلا وهاجموها بعبوة أو لغم، ولم يخلُ عملهم من السرية التامة من أجل صيانة المقاومة ونجاح عملياتها،ما دفع الصهاينة الى استحداث مواقع متقدمة وثابتة لهم على التلال ونصبوا الحواجز على مداخل البلدات ومفارق الطرق.

دبّت الحماسة في نفوس الشباب واستمروا بتأدية واجبهم الجهادي واسرائيل تداهم البيوت وتقصف الأحياء وتنتهك السيادة اللبنانية محاولة بذلك الضغط على المقاومين من جهة لوقف عملياتهم من خلال قتل الأبرياء ومحاصرة الشعب الآمن من جهة آخرى وما لم تعرفه وتدركه تلك القوات الغاشمة أن هؤلاء المقاومين هم أبناء هذا الشعب ومن خلاله ودعمه استطاعوا التصدي والوقوف بقوة أمام غطرسة اسرائيل اللامتناهية.

وفي الرابع من تشرين الثاني للعام ١٩٨٣م نفذت عملية مدرسة الشجرة الإستشهادية في صور...

تحدث علي عنها بحماسة شديدة وتأثر بالغ الأهمية.

الوصال الأزلي

إستمرت أعمال المقاومة وهو يكافح بكل ما أوتي من عزيمة وقوة لا يكل ولا يلين وغالباً ما كان يعود متأخراً الى المنزل ففي إحدى الليالي الباردة وبعد تنفيذ عملية ناجحة عاد إلى منزله في الحلوسية طرق الباب على مهل لعل أحدهم مستيقظ فيفتح له.

زينب التي كانت تتقلب على فراشها ولا تستطيع النوم سمعت الطرق على الباب فهرعت إلى فتحه وكانت تشعر بأن علي هو الطارق.

- أهذا أنت يا علي؟ ما الذي أخّرك حتى هذا الوقت،وهي تنظر إلى وجهه بحنان بالغ، لاحظ علي ذلك ، فأجابها:

- سلامتك يا أختي الحنونة ، كنت أسهر مع بعض الشباب.

رأت التعب بادياً عليه وسألته عن السبب.

- كيف لا أتعب وأنا أرى المحتلين يفعلون ما يفعلون وكل يوم يمارسون القتل والإضطهاد.

- زينب لم تكن تعلم عن عمل علي ضمن المقاومة فقالت له:

- وهل أنت قادر على فعل شيء... الله يحفظ المجاهدين فلا بد أنهم سيهزمون هذا العدو بإذن الله.

- ضحك علي قائلاً لها:

- هذا صحيح لا بدّ أن يتحقق النصر ولو بعد حين.

علي متعب وكان يحتاج الى قسط من الراحة فدخل غرفته ليستريح....

ولكن عينيه لم تغف .. فقام وتوضأ وتوجه الى القبلة، دعا ربه

بدعاء «ربي إن حبي لك لا حدود له فأسألك بهذا الحب ان ترزقني الشهادة في سبيلك».

سمعته زينب من الغرفة المجاورة، طفرت الدموع من عينيها كحبات اللؤلؤ.. علمت حينها أن أخاها مقاوم من المقاومين وأنه قد يستشهد بين يوم وآخر.

علاقته مع الله:

تجافى علي عن مضجعه تلك الليلة صلى قانتاً لربّه أراد أن ينفرد بحبيبه في جوف الليل المظلم والناس نيام.

بقي على هذه الحال الى أن حان موعد صلاة الصبح أذّن وأدى صلاته الواجبة بإنابة وخشوع ثم رتل ما تيسر له من القرآن الكريم، حتى شروق شمس النهار.

وكانت كل تلك الأوقات التي وقف فيها بين يدي الله تعالى ينفذ أمره سبحانه بتزكية نفسه ومحاسبتها ليجعل منها تجسيداً للنفس المؤمنة التي ذكرها الله في قرآنه المجيد.

وضع رأسه على الوسادة إلى أن غفت عيناه المتعبتان وما هي إلا ساعات قليلة حتى استيقظ، نهض من فراشه وتوجه نحو غرفة الجلوس فلم يجد أحداً، علت همهمات جديه، تلفت وإذا هما على الشرفة أقبل نحوهما ملقياً تحية الصباح،جلس بينهما يقبل جده مرة وجدته أخرى.

- الله يرضى عليك يا روحي ، قالت جدته.

- لماذا تتأخر كثيراً في العودة الى المنزل يا علي؟؟ سأل الجد.

- عندي عمل كثير وأضطر أن أنهيه في ساعة متأخرة من الليل.

- الله يعطيك العافية.

- وأطلت زينب تحمل صينية الطعام.

- تناولها منها ووضعها على الطاولة.

- هيا يا علي سوف يبرد الشاي، إغسل وجهك بسرعة.

- إنني قادم، ولكن أين إخوتي؟

- ذهبوا الى أعمالهم، الله يوفقهم.

- الله يعطيهم العافية.

- بعد تناولهم الفطور دار حديث بينهم عن المجاهدين والشهداء، وأبدى علي حماسة ملفتة خلاله.

- نظر وقتها الى زينب وسألها:

- ماذا ستفعلين إذا أنا استشهدت؟

- تذكرت دعاءه في الليلة الماضية، طأطأت رأسها في حركة تعبر عن الحزن، عادت الدموع تترقرق من مقلتيها، وقالت له:

- حماك الله يا أخي فأنت بمثابة الأب لي بعد وفاة والدي رحمه الله...

تنهد علي تنهيدة خرجت من أعماقه.

- لا أريد أن أراك حزينة ، ألم تسمعي مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام وقرأت فيها مواقف الحوراء زينب عليها السلام ؟ فرغم البلاء الذي ألم بها، أظهرت شجاعة وصبراً لا نظير لهما.

تدخل الجدّة في الحديث:

- إن الشهيد له درجة عالية ومقام رفيع عند ربه وعقيدتنا تقول القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة.

- أردف علي موجهاً حديثه إلى جديه وأخته:

- يجب علينا التعلم من سيرة المعصومين عليهم السلام والإقتداء بهم، وإذا ما استشهدت وقتلت في سبيل الله فلا أريد منكم البكاء عليَّ بل قولوا: «**اللهم تقبل منا هذا القربان**».

- أجابت زينب: قدرنا الله على ذلك، لأن هذا من الصعوبة بمكان.

- توكلي على الله فهو حسبي وحسبكم ونعم الوكيل.

جدته التي تنصت إلى الحديث من دون أن تشارك فيه رمقته بنظرة إختلطت فيها العاطفة الجياشة مع الشعور بالخوف من فقدان حفيدها.

علاقته بالجميع:

كان علي ذا بشاشة دائمة، نحيفاً، متوسط القامة، شعره داكن أسود عيناه عسليتان، ولا تذهب الإبتسامة عن ثغره.

الجميع كان يحبه، فعلاقته بجدّيه كانت مميزة جداً فهو يكن لهما كل الإحترام ويبادلهما الحب والعاطفة ولذا كانا شديدي التعلق به، حيث يريان فيه صورة والده الذي فقداه باكراً.

ومع أمه وأشقائه الصغار من أمه، الذين كانت علاقته بهم حميمة جداً، مثال الإبن البار والأخ العطوف.

وكونه الكبير بين إخوته أيضا، كان يمثل مكانة الوالد عندهم وكانوا يرجعون إليه في كل شاردة وواردة ودائماً ما يأخذون بنصيحته لثقتهم برجاحة رأيه وصوابه.

حتى مع والده المتوفي كان باراً وفياً ولطالما قصد جبانة القرية

متوجهاً الى ضريحه فيجلس عنده مطولاً يقرأ القرآن عن روحه، وكم من مرة أعطاه العهد والميثاق.

- أبي: أيها الراحل عني باكراً، ستجدني إن شاء الله وكما عهدتني للظالم خصماً وعدواً لدوداً، وللمظلوم عوناً وسنداً ولإخوتي راعياً وكفيلاً.

كما أنه كان سباقاً الى السلام على كل من يلاقيه صغيراً كان أم كبيراً وهذا ما جعله يفرض إحترامه على الجميع.

- هذا هو علي الذي انطلق في تعامله مع أقاربه وأرحامه من منطلق العلاقة الإسلامية التي يريدها الله تعالى في مجتمعاتنا.

إغتيال الشيخ راغب حرب قدس سره :

سرت أنباء عن إعتقال الشيخ راغب حرب قدس سره ما جعل الأهالي يعتصمون رداً على هذا الإعتقال، كان علي في بيروت وسمع بذلك فذهب على الفور نحو بلدة جبشيت ليشارك في الإعتصام الذي استمر حوالي سبعة عشرة يوماً، كان خلالها الشيخ عبد الكريم عبيد قد رجع الى لبنان بعد أن أمضى سنتين في الجمهورية الإسلامية فتوجه مباشرة الى جبشيت واعتصم مع الجماهير الغاضبة فكان يخطب فيهم ويحثهم على المواجهة والصمود، ويستقبل الوفود والهيئات التي أمت البلدة للتنديد بهذا الإعتقال.

خلال الإعتصام تحدث علي مع بعض إخوانه الموجودين في النادي الحسيني.

- يجب أن نعد العدة لمواجهة الإسرائيليين.

- نعم، يجب توجيه ضربة إليهم لتجعلهم يرتعدون خوفاً ونتحداهم بها حتى لا يقوموا بمثل هذا العمل الجبان.

- كل شيء في أوانه...

وكان أن أطلق سراح الشيخ بعد ما زاد غضب الناس وعلت صيحاتهم فأرادوا بإعطائه الحرية إطفاء هذا الغضب العارم.

وبعد ذلك أصبحت العلاقة الروحية والجهادية بين الشيخ والمجاهدين في ذروتها وبينه وبين شيخ الأسرى متينة جداً.

وتصب كلها في مصلحة العمل الإسلامي، فكان الشيخ عبد الكريم يحضر في بعض أيام الجمعة ليؤم صلاة الجماعة في المسجد الذي كان يغص بالمصلين القادمين من كل القرى حيث بدا الشعب بكل أفراده تحت راية المقاومة الإسلامية.

حينها شعر العدو بخطر هذه الإلتفاتة الكبيرة حول علماء الدين الذين تقدموا هذه المسيرة من جهة وخطر ضربات المقاومين التي زادت وكثرت من جهة أخرى.

فجاء القرار من غرفة عملياتهم الخبيثة بالقيام بعمل يحبطون فيه عزيمة هؤلاء الثوار.

وكخفافيش الليل أقدم هذا الكيان الهمجي الذي من ذاتياته القتل والحقد والضغينة والعنصرية، وبمحاولة منه لإيقاف أعمال المقاومة أقدم على إغتيال سماحة الشيخ راغب حرب قدس سره بغدر وحقد لا مثيل لهما إلا في مصطلحات الصهاينة والطغاة والظالمين

وظناً منهم بأن قتل القائد والملهم لهذه الثلة التي لا تكل ولا تهدأ ولا تتراجع سوف يضعف العمل الجهادي وبالتالي يؤدي إلى إسقاطه.

وكان ذلك الإغتيال في الليل المظلم، المتجهمة أرجاؤه في السادس عشر من شباط من العام ١٩٨٤م.

وظنّت إسرائيل آنذاك انها بهذا العمل الجبان ترضي جلاوزتها وتحاول إعادة رصّ الصفوف بين جنودها بعد ما دب الرعب فيهم.

ومضى الشيخ راغب قدس سره مضرجاً بدمائه وصوته باقٍ يتردد على مسامع كل الشرفاء ومدوياً في مساجد جبشيت والقرى الأخرى ولما سمع أهل الجنوب ومحبو شيخ الشهداء نبأ الإغتيال هبوا وثاروا ثورة واحدة فأموا جبشيت الأبية لعلهم يرمقون شيخهم بالنظرة الأخيرة ويودعونه ويعاهدونه على المضي قدماً في خطى تحرير الأرض والإقتصاص من قاتليه.

أما علي...

فقد اعتراه حزن شديد وأسى عميق، فقد ترك رحيل الشيخ الذي كان المعلم والمدرس والملهم له جرحاً دامياً في أعماق قلبه جعله يثور وينتفض على أعداء الإنسان والإنسانية، آخذاً على نفسه عهداً بأن دماء هذا الشهيد المظلوم ليست أرخص من دمه وبأنه سيتابع طريق الجهاد الذي أرشده الى بدايته.

وعلى صعيد المقاومة فإن هذه الشهادة زادت من عزيمة المجاهدين فقاموا بتنفيذ الكثير من الهجمات على مواقع الإحتلال الذي إستمر في استحداث المزيد منها.

وما فتئوا بشجاعتهم الحيدرية وثورتهم الحسينية ينصبون كميناً هنا وآخر هناك، وقاموا بتفجير العبوات بآليات الجيش الأسطورة الذي ظن بأنه لا يقهر.

في هذه المرحلة الدقيقة بدأ تزويد المقاومين بالأسلحة الثقيلة فقصفوا المواقع الصهيونية بمدفعية الهاون، وأصبحت صواريخ الكاتيوشا الشهيرة تصب نار حممها، بأيدي أبطال بواسل لا يعرفون الضعف والوهن.

وعلي يشارك في العمليات والإشتباكات وفي زرع الألغام والعبوات وفي رصد تحركات العدو.

فأعلنوا بذلك أن قاتل الشيخ راغب حرب قدس سره مخطئ للغاية فهو لم يهزم هذه الأمة، فهو جاهل بأن قلبها كبير لا تسعه الأرض برمتها فهو كبير بإيمانه بالله وبثقته اللامتناهية بالنصر المؤزر للمستضعفين.

فدماؤه التي روت التراب الطاهر أنبتت نباتاً حسناً،وأينعت ثماراً طيبة فها هم أبناء الرسالة وحماة الوطن الحقيقيون حملوا القرآن في يد والبندقية في الأخرى معلنين على الملأ بأن الدم الطاهر الذي سقط لم يذهب هدراً بل هو بداية الطريق.

عملية في معروب وإشتباكات في الحلوسية:

أسود المقاومة يرصدون تحركات العدو وآلياته في معروب وبالتحديد في كانون الأول من العام ١٩٨٤.

عندما حانت الفرصة الملائمة قاموا بتنفيذ عملية موفقة أوقعوا فيها إصابات مباشرة وقع خلالها أفراد الموقع بين قتيل وجريح.

الوصال الأزلي

عاد بعدها الشباب الى بلدة الحلوسية، قاصدين منزل الشيخ عباس حرب إمام البلدة.

إستقبلتهم العائلة المجاهدة آنذاك، مهنئة إياهم على نجاح العملية ولكن عيون العملاء لم تغفل تلك الليلة عن ذلك المنزل الذي كان مراقباً فأرسلوا معلوماتهم الى القاعدة الإسرائيلية التي تبلغ عن وجود مقاومين فيه.

والدة الشيخ حضرت الطعام للمجاهدين..

ـ هيا يا أبنائي تناولوا لقمة تسدوا بها رمقكم.

ـ آجرك الله يا حاجة، الله يحفظك لنا إن شاء الله.

ـ خلعوا أحذيتهم الممتلئة بالتراب أخذتها منهم ودون أن يعلموا قامت بتنظيفها ووضعها جانباً.

وبعد تناول الطعام وبينما هم يحدثون الشيخ وإخوته عن تفاصيل العملية والأضرار التي مني بها عدوهم، كانت في هذه الأثناء قوات مؤللة من الدبابات والمجنزرات تتقدم باتجاه المنزل.

دخل أحد الشباب للإستحمام، أم الشيخ وأختاه غسلن ثيابه المتسخة ونشرنها على حبل غسيل خلف المنزل حتى تجف.

طرق الباب بشدة، إتجهت أنظار الجميع نحوه.

ـ إفتحوا الباب نحن قوات الدفاع، المنزل محاصر هيا افتحوا الباب.

دخل الشباب إلى الغرفة الأخرى للمنزل، فتح الشيخ باب الدار.

ـ ماذا تريدون؟

. نحن نسعى وراء المخربين.

. عن أي المخربين تتحدثون،هذا المنزل فيه أطفال ونساء.

. نحن نعلم أن فيه مخربين.

.ودخلوا عنوة الى الدار،فتّشوه وكان الشباب في الداخل، إعتقلوهم وحتى الشاب الذي كان يستحم أخرجوه، وهو يلف نفسه بالمنشفة.

إقتادوه ورفاقه الى جهة مجهولة رغم مواجهة الشيخ وعائلته.

ولم يكتفوا بذلك فعادوا صباحاً وداهموا القرية بعدد من المجنزرات والدبابات القاتمة ألوانها كسواد قلوب الإسرائيليين، وقوات من المشاة إنتشر العشرات منهم، وذلك بعد أن جاءتهم إخبارية أخرى بأن مجموعة من المقاومين موجودة في القرية، قاموا على الفور بمداهمة منزل السيد أحمد صفي الدين، واعتقلوه مع العديد من شباب القرية بينما تقدمت قوة أخرى بعديدها وعدتها... باتجاه منزل الشيخ عباس حرب، وأقفلوا الطرقات المؤدية إليه وفي كل الإتجاهات، داهموا المنزل وحاصروا الشيخ، أرادوا إعتقاله إلا أن النسوة أحطن به وتصدين لهم ومنعنهم من أخذ الشيخ.

تقدم أحد الضباط الإسرائيليين الذي كان يتكلم العربية بركاكة وقال:

. عندكم في معتقداتكم لا يسمح للنساء أن تختلط بالرجال وتقف في وجههم، وأنت شيخ الدين ـ حسب تعبيره ـ فكيف تقبل بهذا طالباً منه أن يأمرهن بالتراجع.

لكن الشيخ أجابه بعزة وفخر:

- إنّ نساءنا لهن دور كبير، وباستطاعتهن الوقوف والتصدي جنباً الى جنب مع الرجال.

وثارت ثائرة أهالي القرية ومن بينهم علي فأقبلوا من كل حدب وصوب وواجهوهم بعنفوان لم تشهده إسرائيل من قبل واستطاعوا صدهم ومنعهم من اعتقال الشيخ وأخيه الذي كان معه في المنزل.

والجدير ذكره أن الأخ الثاني للشيخ كان في الحارة الأخرى للبلدة وكان يستطيع النجاة بنفسه عبر الخروج إلى القرية المجاورة، إلاّ أنه آل على نفسه إلاّ أن يكون بجانب إخوته.

عاد الى المنزل فوجد النّاس مجتمعين يهتفون ويرددون الشعارات المندّدة بإسرائيل، والقوات المداهمة مرتبكة لا تدري كيف يكون بإستطاعتها إعتقال الشيخ بوجود هذا الحشد البشري الهائل.

علي ورفاقه أشعلوا الأطارات في الشوارع فتحولت سماء القرية الى ضباب كثيف من الدخان الرمادي الذي انبعث من الحريق وسدوا كل منافذ القرية بوجه آليات العدو ودارت اشتباكات بالأيدي بينهم وبين تلك القوات.

وانتهى بهم المطاف بأن يتصلوا عبر جهاز اللاسلكي بغرفة عملياتهم التي أرسلت بدورها طائرات الهليكوبتر، وبدأت تحلق فوق المنزل.

حلّقت إحداها على علو منخفض جداً ما أجبر الناس على

التراجع فقاموا بخطف الشيخ وإخوته وأخذوهم عبر الطائرة وكانوا قد اعتقلوا اثني عشر شاباً من القرية.

وبدأوا البحث عن المجموعة التي أُبلغوا عنها ولما كانت طرقات القرية مكشوفة جاء المقاومون إلى النادي الحسيني وسرعان ما امتلأ بالمعتصمين الغاضبين الذين حضنوا الشباب وتكاتف الحجر والبشر والمدر معلنين أنك أيها العدو الغاصب لن ترهبنا ولن تنال من عزيمتنا حتى ولو إختطفتنا واعتقلتنا جميعاً.

وعلي ضمن الشباب الذين تركوا كل أعمالهم وأهلهم وانطلقوا يخططون للنيل من ذلك المحتل الذي يريد القضاء عليهم.

وكان الغضب والثورة يشتعلان ناراً في صدره حتى ظن وكما يحدثنا أحد إخوانه أنه سينفجر كالبركان.

الناس معتصمون في المسجد وفي النادي الحسيني.

إسرائيل ما زالت تحاصرهم من الخارج وعبر مكبرات الصوت بدأت المطالبة بتسليم المجموعة.. وإلا قصفت الحسينية ودمرتها على رؤوس جميع من فيها.

لم يرضَ الأهالي ووقفوا بكل إباء معلنين بأنهم لن يسلموا الشباب ولو استشهدوا جميعاً.

لم يبق أمامها إلا إحضار الشيخ عباس من المعتقل وطلبوا منه التحدث مع الأهالي، وعندما رأى خطورة الموقف وتصميم اليهود على قصف النادي الحسيني وهم الذين يرتكبون المجازر بكل غطرسة وهمجية، تحدث عبر مكبر الصوت طالباً منهم بأن يسلموا الشباب..

فرضخوا لطلبه، وهم يثقون به ويمتثلون لكلامه، تقدم الشباب وخرجوا من الحسينية محافظين بذلك على دماء كل أهالي البلدة.

إعتقلهم جنود العدو واقتادوهم إلى معتقل أنصار حيث يمارسون فيه أقسى التعسافات النازية والتعذيب الوحشي دون أي رادع.

علي اشتعل غيظاً وغضباً وأبدى استياءه من كل الإرهاب والجرائم التي يرتكبونها بشكل سافر وواضح وفاجر.

وارتأى مع إخوته أن السبيل الوحيد الذي يكسر الإسرائيلي ويهزمه هو العمل الجهادي والمقاومة.

بعدها أنكشف أمر علي كمقاوم وبات الجميع يدرك بأنه يقوم بأعمال عسكرية وأن له مشاركات جهادية عديدة.

فكان في طليعة الشباب المقاومين الذين استمروا رغم كل الضغوط برصد المواقع بتوجيه أعتى الضربات لعدوهم.

والشعب الذي كان مراد اسرائيل من خلال القتل والخطف والإعتقال خنق روح الجهاد فيه أذهل العالم بأسره إذ أنه حضن المقاومة وأخذ من دماء الشيخ راغب والشهداء الأبرار مشاعل تنير الطريق التي عبدت بهذه الدماء.

وفي ٢٨ آذار عام ١٩٨٤م وفي ذكرى أربعين شيخ الشهداء الأبرار أقدمت قوات الإحتلال على مداهمة بلدة جبشيت وقامت بإعتقال الشيخ عبد الكريم عبيد لفترة وجيزة وما لبث أن أطلقت سراحه.

واعتقل مرة أخرى، وهنا نرى ارتباك الصهاينة وخوفهم من وجود علماء الدين وتاثيرهم الكبير على الأهالي الصامدين.

وكان هذا الإعتقال على طريق عام الدوير النبطية عندها خرجت مظاهرات عارمة في بلدات جبشيت والحلوسية ومعركة ومعروب وبعض القرى المجاورة مطالبة بإطلاق سراح الشيخ إلى أن رضخ الإسرائيليون لهذه المطالبة وقاموا بإحضار الشيخ الى القرية لتهدئة النفوس وحث الناس على إنهاء المظاهرات.

شراء السيارة:

علي ما زال يعمل في مهنة البلاط، ولم يثنه عمله عن القيام بواجبه الجهادي وبرعاية أخوته،بدأ حينها بإدخار بعض من المال الذي كان يكسبه، مريداً بذلك أن يقتني سيارة بعدما تعلم القيادة من صديقه محمد.

وقع نظره على سيارة فيات جذبه لونها الأخضر وهو المتيم بهذا اللون الذي يرمز الى خضرة الحقول والبساتين.

أعجبته السيارة ورأى فيها تميزاً فعزم الأمر على شرائها.

وكان ثمنها يزيد عمّا يملكه علي من المال. ولما كان صاحبها صديقاً مقرباً للعائلة تغاضى عن المقدار الزائد ولم يطلب منه دفع المتبقي وبتوفيق من الله تعالى قال له:

- مبروك عليك السيارة.

إنفرجت أسارير علي فقد قضيت حاجته، وكانت تلك أول خطوة له على طريق الشهادة .

عندما أنهى المعاملات القانونية صعد إليها وقادها مباشرة باتجاه الحلوسية وعندما وصل الى الساحة حيث كان زملاؤه

يجلسون هناك اطلق العنان لزمورها، ليلفت انظارهم اليه، التفتوا جميعاً وبانت لهم إبتسامته الجذابة الساحرة.

فأقبلوا نحوه وبدأوا بتفحص السيارة الجديدة عن قرب، قال له أحدهم:

- أوليست بحاجة لبعض التصليحات؟؟

- بلى ولكنها تفي بالغرض.

- وأي غرض كنت تخطط له يا علي؟

باركوا له جميعاً وأخذوا يقبلونه وهم فرحون لأجله.

عزمه على تنفيذ العملية الإستشهادية:

استمر علي في ممارسة عمله كي يكسب المال، فكان يجهد لذلك في النهار ويجاهد في الليل، وكان في قلبه حرقة لكل ما يرتكبه اليهود من قتل وإغتصاب واضطهاد في فلسطين المحتلة وفي لبنان، مرة وقف قرب الحدود مع زملاء له ونظر بعيداً وسأل نفسه بصوت عال:

- لما طمع اليهود في هذه الأرض؟

رد أحدهم قائلاً له:

- سأخبرك لماذا!!

- لأن أرضنا خصبة، هواؤها نقي، مناخها جميل، مياهها وفيرة، كما أنها تشكل موقعا استراتيجياً يشكل خطراً محدقاً على أمن الحدود مع فلسطين المحتلة.

عاد علي الى منزله تلك الليلة وهو يفكر...

كيف يمكن أن يصب جام غضبه على المحتلين؟، لا بد من عمل يستطيع القيام به، يجعل عدو الله وعدو الوطن يدفع الثمن عن كل أفعاله وجرائمه غالياً.

ويعلم من خلاله بأن أي عمل أرعن، من قتل وإختطاف وتدمير سوف تكون عاقبته وخيمة على جنوده.

وبأن هناك من يقوم ببذل كل غال ونفيس وبدون تلكؤ ولا تهاون دفاعاً عن حرم الناس وعن الأعراض والمقدسات، عن الأرض التي تحتاج إلى مداد وافر من الدم القاني الذي لا يسري إلا في عروق المتميزين والمصطفين من خيرة الشباب وعلي الباحث عن الشهادة كان يعيش حياته بطريقة طبيعية إذ شاءت الأقدار وتهيأت الأسباب بأن يلتقي بصبية من بلدته ، ومذ وقع بصره عليها، أعجب بها ورأى فيها نصفه الثاني، والفتاة المثالية ليقضي بقية عمره معها.

فما كان إلا أن صارحها وأخبرها بحقيقة عمله الجهادي.

فأبدت إرتياحاً وإنسجاماً معه، وهذا حال فتيات الجنوب الأصيلات.

وبعد فترة وجيزة لم يعد صدر علي يتحمل وبات يشعر بالضيق لكل التعسفات الصهيونية، فصمم على تنفيذ عملية استشهادية بهم، تقتل منهم من يتجرأ على تدنيس المقدسات.

أخذ موافقة مجموعته.

وأبى إلا أن يمول العملية من ماله الخاص، فاشترى المتفجرات وهيأها في مكان آمن.

ثم قام برصد تحركات الإحتلال في بلدة دير قانون النهر مع بعض إخوته وقاموا بالتناوب على مراقبة دورياتهم ومن فيها.

ورسموا خطة محكمة يقع فيها أكثر عدد ممكن من الإصابات ثم حددوا موعداً مناسباً للعملية تكون فيه القوات محتشدة.

وداع الأهل والأحبة:

ذهب علي لزيارة والدته..

كانت جالسة على التراس الصغير أمام منزلها تحمل في يديها صينية فيها حبوب العدس، كانت تنقيه لتصنع منه طعام الغذاء (مجدرة).

بالها مشغول على إبنها علي، فمذ علمت أنه يعمل مع المجاهدين وهي تعيش حالة قلق عليه.

وقفت سيارة خضراء أمام المنزل، سارع الصغار لمعرفة من القادم.

- إنه أخي علي يا أمي، لقد جاء في سيارة جديدة.

- أشقاؤه كانوا صغاراً وعلاقته بهم حميمة جداً وقد رأوا فيه الأخ الأكبر فتعلقوا به وأحاطوه من كل جانب، واحد يقبله والآخر يمسك بيديه.

أسرع نحو أمه إحتضنها بقوة بالغة، أخذ يقبل يديها دفعها ذلك لأن تقول له:

- يخالجني شعور غريب يا ولدي بأني سأفقدك.

- اتكلي على الله يا أمي، وكل إنسان يأخذ نصيبه من الحياة.

- بني يا حبيبي، إنتبه لنفسك، فالإسرائيليون لن يهدأ لهم بال ولن يطمئنوا حتى يقتلوا أو يأسروا كل رجال المقاومة.

- نحن لهم بالمرصاد ونحن من سيلاحقهم ويقتلهم بقدرة الله، هؤلاء الجبناء!!

أشقاؤه بدأوا بالمطالبة:

- خذنا مشوار في سيارتك... أرجوك علي..

- أحب أن يطيب خاطرهم، إستأذن أمه ثم قال لهم،

- هيا إصعدوا في السيارة سوف نذهب جميعاً في نزهة.

ركضوا وهم يملؤون المكان بضحكاتهم معبرين عن سعادة كبيرة.

ركبوا في السيارة وانطلقوا...

بينما كان علي يقود السيارة وهو في غاية السعادة سألهم قائلاً:

- ماذا ستفعلون عندما تكبرون؟

- أنا سوف أصبح أستاذاً.

- أنا أريد أن أقود سيارة مثلك.

وتعددت الأجوبة وهو يستمع إليهم واحداً، واحداً.. إلى أن قال لهم:

- وأنا أريدكم أن تصبحوا مقاومين.

هذه الكلمات القليلة غرست في قلوبهم الصغيرة وهم حتى يومنا هذا لم ينسوها، ولعله أرادها وصية لهم من أخيهم الأكبر.

وبعد نزهة طويلة في شوارع البلدة عادوا الى المنزل.

ومن جديد إحتضن أمه بقوة أكبر ودعها قائلاً لها:

- خذي بالك من إخوتي.

الوصال الأزلي

- لا تقلقني عليك يا حبيبي، وإنتبه لنفسك.

- لا تجزعي يا أمي، وادعي لي بالتوفيق فعندي عمل مهم عليَّ القيام به.

- الله يوفقك كيفما أدرت وجهك، ويحميك ويرعاك يا قرة عين أمك.

صعد في السيارة وهي واقفة على باب المنزل وهو ينظر إليها نظرات مودع دون أن تعلم بأنه الفراق...

غادر علي وكأنه إقتطع قطعة من قلبها ورحل...

ظلت واقفة تستند إلى حائط الدار، برهة من الزمن إلى أن غابت ملامح السيارة عن ناظريها، رفعت يديها نحو السماء، وقالت:

«يا رب وفق ولدي، إنك سميع الدعاء».

عرج علي منزل جديه، سلم عليهم بعجل قبلهم، نادى على إخوته، وقال لهم:

- إني ذاهب في عمل ضروري، وقد أتأخر فلا ينشغل بالكم علي

أدركت زينب أن هذا العمل ضمن إطار المقاومة، أحنت رأسها تقدمت نحوه، إحتضنها ماسحاً على رأسها وكأنها مسحة اليتيم.

- علي أنت في منزلة والدي، وأنت كفيلي وغدي المشرق لا تفجعني بك.

- عهدتك يا زينب شجاعة وقوية فلا تخافي ولا تجزعي فكل ما يحصل لنا هو بعين الله، إجعلي إيمانك به كبيراً وعلى كل حال صل

ركعتين لله لقضاء حاجة لي عسى أن يوفقني لما يحب ويرضى، ثم ضمها لآخر مرة، سألته..

ـ هل ستعود يا علي؟

ـ إن كانت هذه مشيئة الله سأعود... وإلا فسنلتقي في الجنان مع أهل البيت عليهم السلام.

ودع الجميع ومشى...

زميله المجاهد ينتظره في كاراج محايد في البلدة، مستور من أعين العملاء وكان علي قد أودع المتفجرات والمعدات اللازمة فيه.

كل شيء جاهز لم يعد ينقص سوى زرع المتفجرات في السيارة.

وأطلت بلونها الأخضر، علي يقودها مسرعاً.

أهلاً بالبطل...

ـ على مهلك فأنا لا أستحق انا أنادى بالبطل.

ـ يالتواضعك يا أخي... هيا فلنعد السيارة.

ـ وضعوا المتفجرات بكل حذر ودقّة، أوصلوا الشرائط وبات كل شيء جاهزاً للتنفيذ.

إقترب من البطل كما سماه، ضمّه الى صدره، قبله في جبينه، وقال له:

ـ أنتم السابقون ونحن اللاحقون إن شاء الله..

إدعُ لي بالتوفيق ولي وصية عندك أن تبلغ سلامي الى عروسي وتقول لها بأني لم أشأ توديعها، وبأن الشهادة باتت حلمي..

وملتقانا في الجنان إن شاء الله.

ـ سأفعل.. إمضِ وفقك الله ولا تنسَ أن تهدي تحياتي وحبي الى رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام وأخبر الشيخ راغب حرب قدس سره أن دماءه لم تذهب هدراً وأننا حفظنا الوصية وأكملنا المشوار في طريق ذات الشوكة.

ـ إن شاء الله... لك هذا إن وفقني ربي.

صعد في السيارة أدار مفتاحها نظر الى أخيه النظرة الأخيرة محملاً إياه مسؤولية كبيرة...

شعر زميله من خلالها أن الدور الكبير والفعال لعلي بات حملاً على عاتقه.

قاد علي سيارته الملغمة ببطء في شوارع البلدة وكان يلتفت يمنة ويساراً ينظر الى جدرانها العتقية بإمعان.. وكلما التقى بأحد أقربائه أو أصدقائه كان يبادر إلى إلقاء التحية والبسمة لا تفارق محياه، وكل من رآه في ذلك النهار قال إن علامات السعادة كانت جلية في ملامح وجهه.

إستوقفه أحد الشباب سلم عليه فرد السلام على عجل وقال له بأنه على موعد مهم جداً، إستودعه الله وتركه ومضى، ودع علي الجميع واتجه نحو بلدة دير قانون النهر إذ أن موعده المنشود كان مع الشهادة في هذه البلدة.

وصل إلى مكان الهدف..

ركن سيارته الى جانب الطريق المؤدية إلى داخل البلدة دون أن يطفىء محركها، أخذ نظرة على كل الجهات المحيطة به... ولعله

أراد بذلك الإطمئنان الى عدم وجود احد من المدنيين.

بقي جالساً خلف المقود يترقب وصول غريمه وفي تلك اللحظات مرت بذهن علي كل أحداث حياته..

واستعاد ذكريات الطفولته وكيف شوهها المعتدون وصور المجازر التي ارتكبوها بحق أبناء وطنه الأبرياء... والدمار الذي خلفوه مما جعل بلاده الخضراء الجميلة تبدو قاتمة الألوان ومختلفة عم يعرفها العالم بأسره.

زاده ذلك عزيمة وإصراراً على تنفيذ العملية التي كان يريد من خلالها أن ينتصر الوطن فيهزم العدو ليعم السلام على أرض مقدسة طاف حولها الأنبياء عليهم السلام...

وبالتالي يبعد الوحش الكاسر الضاري الذي يتغذى بدماء المجازر والتي لم يكن بإستطاعة علي وأمثاله تجاهلها أو نسيانها وما هي إلا دقائق معدودة.. وإذا بدبابات جيشهم تتقدم، خفق قلبه بسرعة،إنتظر إقترابَ الدورية...

إنهم قادمون يجب أن أتبع الدقة في عملي كي أمنيهم بخسارة فادحة.

قاد السيارة على مهل متقدماً بإتجاه الموكب الصهيوني.

لم يعلموا ولأنهم متغطرسون وعنجهيون بأن جهنم بانتظارهم.

وهذه هي الصورة:

سيارة علي من جهة وقوة مؤللة للصهاينة من جهة أخرى والتحم الطرفان.

الوصال الأزلي

في ثوان قليلة هي كعمر علي كله.... وضع إصبعه على زر التحكم بالعبوة، وانبلجت عن ثغره ابتسامة وكأنه بحسه المرهف شعر بحفيف الملائكة تخفق اجنحتها من حوله وهي تتسابق للفوز بإلتقاط أولى القطرات التي ستسقط من دمه فهو سيكون شهيداً... وتذكّر كلمات الشيخ راغب حرب قدس سره:

«دم الشهيد إذا سقط فبيد الله يسقط وإذا سقط بيد الله فإنه ينمو ويضخم.

لم ينسَ علي أن يردد شهادة الموت التي كان يحفظها عن ظهر قلب وكما بدأت حياته بكلمة الله أكبر ختمها بذات الكلمة إلا أن الفرق أنه في المرة الأولى تليت في أذنيه وهذه المرة دوى صداها في كل أرجاء المعمورة من دماء علي نفسه.

انفجرت السيارة بالإسرائيليين موقعة إياهم بين قتيل وجريح، أما علي فاضت روحه إلى بارئها وتناثرت أشلاؤه واختلطت بتراب الأرض التي لطالما عشقها، وتساقطت دماؤه كحبات من قطرات شتاء نيسان لتروي هذه الأرض وتعبدها فتصبح فيما بعد مسيراً للثائرين وحجة على الظالمين وكان ذلك في الثالث عشر من نيسان عام ١٩٨٤م غدا علي شهيداً فكانت عمليته الإستشهادية المظفرة ضربة قاصمة وجهها الى الكيان الصهيوني الغاصب فقضّت مضجعه وأقلقت ليله ونهاره وجعلته خائفاً وجلاً يترقب مثيلاً لعلي عند زاوية كل طريق وعلى مدخل كل قرية، وخلف كل تلة..

نعم هذه العملية التي أراد بها أن تعود ضحكة الأطفال إلى وطنه

تزرع الفرح في البيوت وهم يمرحون ويلعبون... وأن تزهر من خلالها أشجار الزيتون من جديد التي تزين بها جبل عامل.

أراد قطع اليد التي اقتلعت الأشجار ودهست الأزهار.. فكانت عمليته توعية حازمة للناس الذين ارتفعت اصواتهم بالتكبيرات عند سماع الخبر وبالشعارات المنددة للإحتلال البغيض وأصبحت ناراً وسعيراً أولم يكن ذلك جزاؤهم بما ظلموا..

إعلان نبأ الإستشهاد:

والمشهد في بلدة الحلوسية مختلف.. أم علي كانت في منزلها تقوم بالإعمال المعتادة دق الباب فتحته على مهل وإذا بإخوة علي أمامها.. خفق قلبها بسرعة وسارعت نبضاته حتى شعرت وكأنه سينتفض من صدرها، نظرت إليهم، إبنها علي ليس معهم.

- أين علي يا أحبائي؟

- طأطأوا رؤوسهم.. لم يستطيعوا الكلام.

. أحست وبشعور الأم اللامحدود وكأن ماءً بارداً صبت عليها فبادرتهم قائلة:

- إرفعوا رؤوسكم لقد استشهد علي.

سالت الدموع من عينيها، أحبت أن تعتنق كل رفاقه وتقول لهم أنتم أبنائي أكملوا طريق علي.....

قاموا بتعزيتها مؤكدين لها نبأ استشهاده.

- عظم الله أجرك يا أم علي.

- الله يبيّض وجهه عند فاطمة الزهراء عليها السلام كما بيض وجهي

والفاجعة الكبرى عند اخت علي زينب ففي منزله كان لوقع الخبر على نفسها أثر شديد، تذكرت كلامه وما طلبه منها إذا ما استشهد.

عزّ عليها الفراق، اقسمت ان لا تنساه أبداً ما دامت حية، رفعت يديها نحو السماء منفذة الوصية:

«اللهم تقبل منا هذا القربان».

إخوته في المنزل أخذوا على أنفسهم عهداً بأن يحملوا بندقية علي ويكملوا الطريق.

يا نسوة الحلوسية قمن، أطلقن التكبيرات وهللن ومن على شرفات المنازل والأسطح زغردن فهذا الشهيد البطل هو من قريتكن، ومرة أخرى باركن لأم علي وهذه المرة ليس بالولادة بل بالشهادة.

وأي شهادة، تلك التي إحتارت فيها العقول، والألباب، التي اختصرت أجيالاً وأزماناً واختزنت في أعماق أهدافها الحب والإنسانية والتضحية والإيثار.

وإخوته في المقاومة عاهدوه وأكملوا المسير فهو الذي جمع أحلامه وآماله أودعها إياهم ورحل....

وغدا المثل الحق للثائرين الذين يرون الجنة بعين اليقين، رحل ولم يخلف وراءه أي إرث مادي إذ أنه كان لا يملك شيئاً سوى السيارة التي فجرها بالإعداء.

إلا أنه ترك درباً معبداً للسالكين في درب الحرية والإستقلال معبداً بأشلائه التي تناثرت كأوراق الشجر في فصل الخريف

وكالشمس المستترة في سماء فصل الشتاء وراء السحب الرمادية فهي لم تنطفئ إنما تهيئ الأرواح الخامدة لشروق جلي ومتجدد.

وعلي الذي لم يبق من جسده شيئاً ليدفن، لم يرَ بداً من كتابة وصيته بخط يده، وبمداد الحبر العادي، بل ارادها وصية أبلغ يكون لها الأثر الأعمق في النفوس فجعل تحديه للصهاينة علناً وتفجير نفسه بهم، وصية للشرفاء كتبها بأشلائه وبمداد دمه القاني، وإني لأهنئك أيها الشجاع، فلقد حققت هدفك والمآرب.

ولعمري فلقد بحثت في الكتب والمجلدات والموسوعات ولم أجد عبر التاريخ ان هناك طريقة أعظم وأشرف وأبلغ من الدم في الإنتصار على السلاح الحاقد وزرع الثورة في الصدور والنهوض بالأمة.

ولأن علي قرأ في سيرة الإمام الحسين عليه السلام كيف انتصر الدم على السيف، أراد أن يروي للملأ قصة هذه الشهادة عن كربلاء فانبرى من دمه شعاع هو قبس من دماء سيد الشهداء عليه السلام وسمع الصرخة المدوية للإمام الخميني قدس سره عندما وقف بكل ثقة وثبات قائلاً:

«إن كل ما عندنا هو من عاشوراء»

وأمسى علي غارساً لبذور رويت بدماء كل من كان عن الأرض والعرض مدافع، ولقد توالت الفصول وها نحن قد أدركنا الفصل الرابع إذ أن فيه موسم الجني وآن أوان القطاف للثمر اليانع... وغداً الأمل أكبر لوعدٍ غير مكذوب برؤية الفجر الطالع..

ألا وهو ظهور الغائب الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه ذاك النور الساطع.